الارتقاء بالحصيلة اللغوية عند المتعلم بين الواقع والمأمول

أ. سمراء شلواش

الجامعة: جامعة الحاج لخضر ، باتنة1. ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية ـ الجزائر.

البريد الإلكتروني:samradz04@gmail.com

تاريخ الارسال : 15-02-2018 تاريخ النشر: 25-04-2018

ملخص:

إن اللغة وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته ،فهي تؤدي وظائف جذرية بين أعضاء المجتمع ، ومن ثم تعد اللغة أقرب الأدلة عند استقصاء الملامح الخاصة لأي مجتمع ، وإننا لا يمكن أن نتعرف على أي نشاط إنساني إلا من خلال اللغة ،إذ تجعل الأمة الناطقة بها كلا متراصا خاضعا لنواميس التطور، ونظرا لأهميتها أولى البحث عناية بإيجاد السبل الكفيلة بتنمية الثروة اللغوية لدى الفرد .

الكلمات المفاتيح : اللغة – التنمية ـ الثروة اللغوية ـ سبل

Abstract:

Language is closely related to man and his environment. It performs radical functions among the members of society. Language is therefore the closest evidence in exploring the special features of any society. We can not recognize any human activity except through language. The importance of research is to find ways to develop the linguistic wealth of the individual.

Keywords: language, development, linguistic wealth, ways

مقدمة :

إن اللغة ليست مجرد رموز صوتية دالة على معان معينة بل هي قران رابط بين أفراد المجتمع ، حاملة في طياتها السمات الدقيقة الخاصة به ، وراسمة معالم حضارته وأطره العامة ، وتعتبر ميراث حضاري وتأريخي تضم بين مفرداتها وعباراتها الأنماط الحياتية للمجتمع ، تتوارثه عن طريقها الأجيال اللاحقة، ومادامت اللغة مقترنة بالفرد ومصيرها مرهون بمدى تمكنه منها الأمر الذي جعلنا نبحث عن سبل وطرق تنمية الحصيلة اللغوية عند الفرد .

1ـ تعريف اللغة:

عرّف اللغويون اللغة بتعريفات كثيرة، تركزت على جوانب متعددة من خصائصها واقتصر البحث على إيراد بعض التعريفات التي تبرز أهمية اللغة في التعبير عن الأفكار و إيصالها إلى الآخرين.

أ. لغة:

جاء في لسان العرب لـ (ابن منظور ت 711هـ): " .....اللغة من الأسماء الناقصة، و أصلها لغوة وقيل لغا يلغو ولغا فلان عن الصواب و عن الطريق إذا مال عنه، و اللغو: النطق يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها".[1]

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت لبنان ، ط3، م3، 2004م. مادة(ل غ ا).

لم ترد لفظة (لغة) في القرآن الكريم، إنما وردت ألفاظ مشتقة منها دالة على معنى الكلام القبيح، كما في لكن لفظة (لسان) وردت في القرآن الكريم، دالة على معنى النطق، كما في قوله تعالى:"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ"[2]

ب . اصطلاحا:

عرف ابن جني (ت392هـ) اللغة بأنها:" ...أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم..."[3] من هذا القول نستخلص أن ابن جني يعتبر اللغة عبارة عن ملفوظات يراد بها التعبير والإظهار والإفصاح عما يريد المرء أن يبلغه ويراد به الغاية والمرمى والمقصد وهو الباعث على فعل التعبير. و منه فإن ابن جني في تعريفه يعرض طبيعة اللغة وعناصرها الصوتية و وظائفها التعبيرية وأن محاولته في تفسير الظاهرة اللغوية هي الأرجح ، وهو من أشمل تعريفات اللغة بدلالة ما توصل إليه العلم الحديث .

2 . مصادر تنمية الحصيلة اللغوية:

2 .1 ـ الاتصال / التواصل:

ما هو الاتصال؟

"هو العملية التي تنتقل فيها المعلومات والخبرات بين فرد وآخر وفق نظام معين ومن خلال قناة تربط المصدر والمتلقي".[4]

---

[2]- سورة النبأ الآية 35

[3]- سورة إبراهيم الآية 04

[4]- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، القاهرة مصر د ط، 1902م.33/1

من هذا التعريف نصل إلى أن الاتصال يعد من أحد المصادر المهمة والرئيسية في اكتساب الفرد للغة، وذلك لأنه يحتك في مراحله الأولى بالأبوين، ومن ثمة أفراد الأسرة إلى أن يصل إلى أفراد المجتمع، و تظل دائرة اتصاله تتسع مع مرور الزمن ومع تغير الحاجات، فالاتصال كنظام وضرورة موجود بالقوة في الحياة (ظاهرة عامة)، و تقل هذه العمومية إلى أن تصل إلى التواصل كما سأحاول توضيحه في هذه الترسيمة التي سميتها (الدورة الاتصالية/التواصلية الإنسانية):

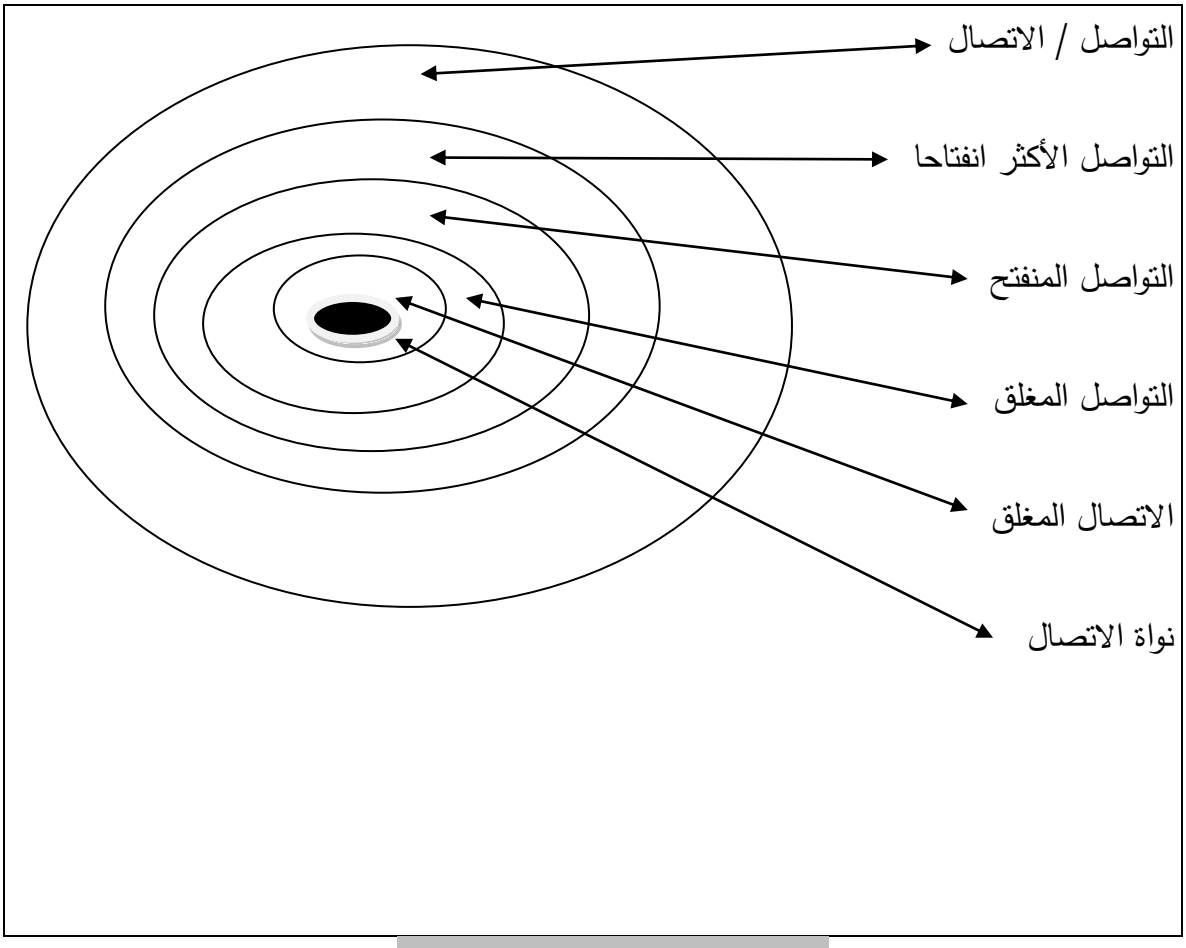

الدورة الاتصالية / التواصلية الإنسانية

أستنتج من هذه الترسيمة مجموعة من الحقائق منها:

- ✓ اقتران حياة اللغة بعملية التواصل، فاللغة التي لا نتواصل بها ليس لها وجود، ويوشك كل واحد منا أن يكون على علم بأن الحياةَ لغةٌ ما يعني بقاءها مستمرة في دائرة التواصل و التداول وإن فناءها أو زوالها يعني شيئا واحدا هو خروجها من دائرة التواصل.
- ✓ التواصل عملية هادفة بالنظر إلى قصدية المرسل، و تستدعي وجود طرفين على الأقل مرسل و مرسل إليه يتبادلان الرسائل خلال مراحل العملية التواصلية، أما إذا كانت هذه الأخيرة في هذه العملية من "أ"(الباث/المرسل) دون أن تلقى استجابة من "ب"(المتلقي/المرسل إليه)، فإن هذا الأمر يبقى مجرد اتصال.

ويمكن أن نمثل للتواصل والاتصال بهذين المخططين:

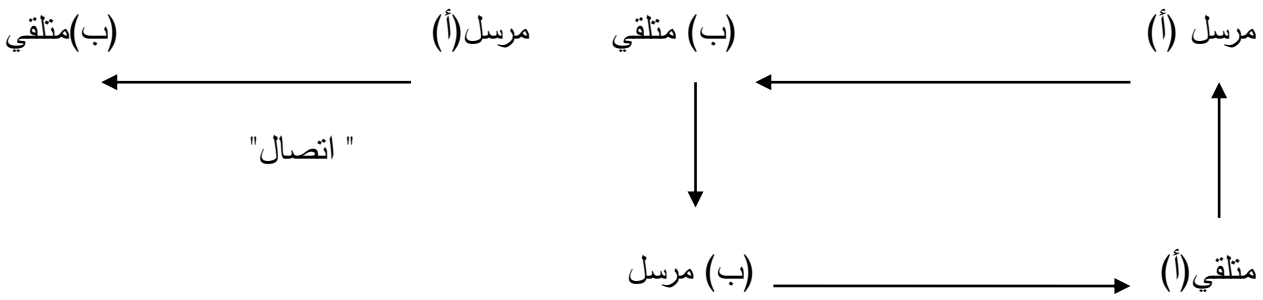

من هذين المخططين نتوصل إلى أن اللغة تواصل لا اتصال فقط ، وإن كان الاتصال واحدا من وظائفها المتعددة، وذلك لأن التواصل ينطوي على قدر كبير من القيم الاجتماعية والإنسانية. إذا نظرنا في حقيقة العلاقة بين الفرد و المجتمع و اللغة وجدناها كالمثلث الذي تكون اللغة رأسه و الفرد و المجتمع قاعدته، ويظهر التكامل في التواصل بين الفرد و الجماعة إذا عرفنا حقيقة العلاقة بينهما و بين اللغة، وذلك كما هو موضح في الشكل الآتي:

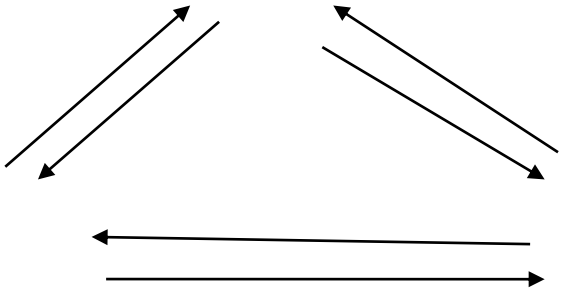

العلاقة بين لغة الفرد و الجماعة

وفقا لذلك فإن الفرد ما دام اتصاله بأفراد مجتمعه مستمرا، فلغته في تنام و تطور و بذلك نستطيع أن ننتهي إلى نتيجة مفادها أنه كلما اتسعت علاقاته الاجتماعية، كلما ساهم ذلك في تنمية المهارات اللغوية بشكل أكبر و أوسع،; ما أكده فندريس في قوله :" اللغة من أعجب المبتكرات التي أظهرها التطور البشري فيجب الوقوف عندها بل إطالة الوقوف لترى الدور الذي تؤديه على وجه الدقة والنصيب الذي تقوم به في التطور العقلي ، ثم ما هي صلات الفرد بالجماعة قيما يختص بإنتاج هذه الأداة وإكمال ما فيها من نقص على مر الأزمنة"[5] و ذلك راجع إلى أن اكتساب المهارات اللغوية قائم على أمرين هما: أولا تكوين الفرد و استعداده الفطري و تحديد الفئات الاجتماعية التي ينتمي إليها، ثانيا: لأن الفرد يتشكل من مجموع خبراته اللغوية كمتلق بدرجة اكبر من تكوينه الوراثي، وهو يتلقى تلك الخبرات من أحاديث الآخرين الذين يتميز كل منهم بخصائصه المفردة ، و ذلك بناء على حقيقة أنه يمكن لفردين أن يستمعا إلى شخص واحد و أن يتأثرا بطريقتين مختلفتين،

[5] - فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، د ط. د ت. ، ص 09

إذ إن الفرد ليس مجرد آلة تصويرية تعكس صورة دقيقة لماضيه، و إنما يدوّن تجاربه بعد تنقيتها من خلال مرشح. وهذا ما يؤكده تراسك " أن طريقة الفرد في التحدث تلعب دورا حيويا في تشكيل هويته داخل المجتمع "[6]

إن هدف المجتمع هو أن يصبغ أفراده بالصبغة الاجتماعية، و كلما ازداد توغلا في مجتمعه كلما لعبت اللغة دورا مهما في صبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية، و هذا ما يلفت النظر إلى دورها في تحقق الفرد، و ذلك بناء على حقيقة مؤداها أن المتكلم (م) حين يتبادر إلى ذهنه فكرة أو تصور معين (فـ1) يريد أن ينقله إلى المتلقي (مَ) فيرفقها بقيمة اسمية (ص1) و تنقل هذه الفكرة المجسدة في الصورة الصوتية إلى المتلقي (مَ) عبر إصدار أصوات (ل) عبر المسافة (س) فيستقبلها المتلقي (مَ) عبر السماع (ع) في شكل صورة سمعية مرمزة (ص2) فيحاول أن يفك شفرتها (فـ2) ليصل إلى الفكرة التي أراد المتكلم (م) أن يوصلها إليه (مَ).

كما يبينه المخطط التالي:[7]

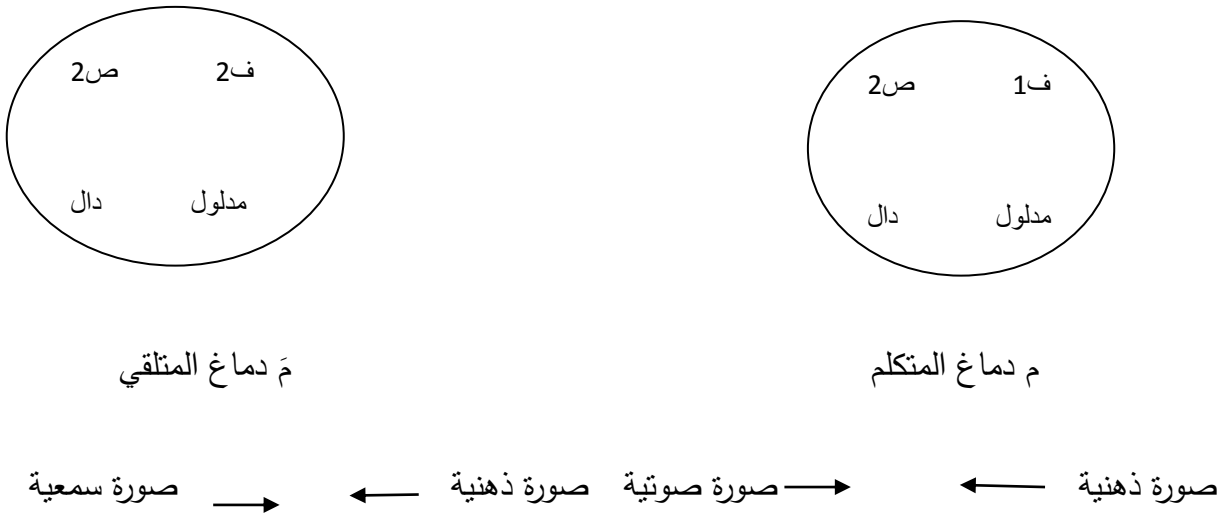

[6]– تراسك، أساسيات اللغة، تر: رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، العدد381 القاهرة مصر، ط1. 2002م.، ص 190

[7]- ينظر سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، بغداد العراق، د ط 1985م، ص 30

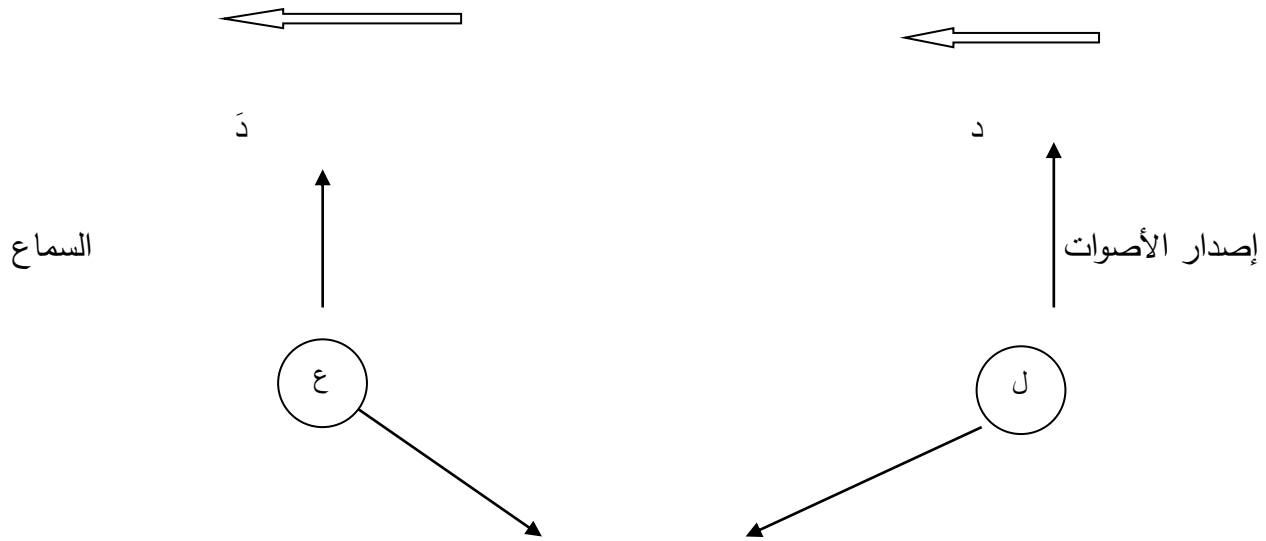

تصورات الأصوات

(س)

بناء على ذلك فإن الفرد الذي يمتلك ثروة لغوية طائلة، يُكسبه ذلك قدرة على انتقاء الكلمات المناسبة للفكرة المراد توصيلها إلى الفرد الآخر، و بذلك يتمكن من التعبير عنها بشكل أدق و أوضح.

وعليه فإن الفرد كلما كان حائزا على رأس مال لغوي، كلما كان بإمكانه ارتياد السوق بحرية مستخدما في ذلك ما يسميه بورديو " إستراتيجية التنازل".

منه نصل إلى نتيجة مفادها: أن كل لغة تقوم بتعريف جماعتها الكلامية، و هي جماعة من الناس يتصل بعضهم ببعض، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، و ذلك عن طريق لغة شائعة بينهم.

وفقا لذلك فإن الاتصال / التواصل يساهم في إثراء اللغة و الارتقاء بها، فبفضل هذا الاتصال يكتسب الفرد خبرات و معارف جديدة، و من ثمة كثرة مفرداته و عباراته من جهة فضلا عن أن الفرد لا يستطيع أن يعيش في عزلة، و نظرا لحاجاته المتزايدة فإنه دوما يسعى إلى تنمية زاده اللغوي ليتمكن من التكيف و الانسجام

مع أفراد مجتمعه من جهة أخرى، و منه فإن اللغة قدرة كامنة تجعل تحقق الفرد ممكنا عن طريق توسيع نطاق الفعل عند الذين يتكلمونها و بالتالي تعينهم على التكيف مع المجتمع. [8]

مما سبق نصل إلى نتيجة قوامها: أن للاتصال الاجتماعي دورا و أثرا إيجابيا و مُهما في إغناء الثروة اللغوية، خاصة لو حظي الفرد بالتوجيه السديد و تهيأت له الفرص و الأجواء المناسبة للانفتاح على المجتمع، و ممارسة ما يمتلك من رصيد لغوي ، وذلك لأن الكلمات لا تستمد قيمتها ولا معناها إلا من الاستعمال، و بذلك يكون الرصيد اللغوي مرنا فعالا حاضرا في الذاكرة مهيئا للاستخدام. وهذا ما يؤكده فلوريان كولماس : " قيمة الكلمات تعتمد على الاستعمال العام "[9] قبل أن نحلل هذه المقولة يتبادر إلى أذهاننا الإشكال الآتي: ما المقصود بالقيمة؟.

لغة:

نجد أن القيمة في اللغة نقول:" قيمة الشيء بمعنى قدره، وقيمة المتاع ثمنه، وقيمة الشخص علوّ شأنه، ومكانته العقلية أو الاجتماعية أو الأخلاقية، وتدل كلمة القيمة على اسم النوع من الفعل قام بمعنى وقف واعتدل." [10]

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في سورة البيّنة في آيتين: قوله تعالى:{ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} [11] وفي قوله أيضا:{وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة} [12]

---

[8]- أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 212، أغسطس 1996م، ص 71

[9]- فلوريان كولماس، اللغة و الاقتصاد، تر: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 263، نوفمبر، 2000م، ص 06

[10]- المرجع نفسه، ص 09

اصطلاحا:

يعرف جان يول رزقبر القيّم " هي هذه الرموز التي تنسج أفق الثقافة وتضطلع بعمل مبادئ ناظمة للتواصل الإنساني ."[13]

من خلال هذا التعريف نتوصل إلى أن القيم ما هي إلا انعكاس للأسلوب الذي يفكر الأشخاص به في ثقافة معينة، وفي فترة زمنية معينة، كما أنها هي التي توجه سلوك الأفراد وأحكامهم،واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه من أشكال السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير، وهي على حد تعبير روكتش إحدى المؤشرات الهامة لنوعية الحياة ومستوى الرقي أو التحضر في أي مجتمع من المجتمعات.

من البديهي أن اللغة كظاهرة اجتماعية تنهض بأهلها، وتضعف بضعفهم، وقد تموت إذا اختفى أثر مستعمليها وهذا ما أشار إليه جون جوزيف في قوله:" إن غلبة اللغة بغلبة أهلها وإن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم...."[14]

وهذا ما يؤكده ابن حزم في كتابه (الأحكام في أصول الأحكام):".....فإن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم...."[15]

---

[11]- الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،ط1، م 3 ،2007، ص 35

[12]- الآية 03 من سورة البيّنة

[13]- جان. يول. رزقبر، فلسفة القيم، تعر: عادل العوّا، عويدات للنشر، بيروت لبنان، ط1. 2001م، ص35

[14]- جون جوزيف، اللغة و الهوية، تر: عبد النور الخراقي، عالم المعرفة، العدد342 المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت،2007م، ص 07

[15]-- سورة النبأ الآية 35

انطلاقا مما سبق نتوصل إلى أن اللغة تعوز القيمة في الاستعمال وتكتسبها في التبادل وهذا ما توضحه الترسيمة التخطيطية الآتية :

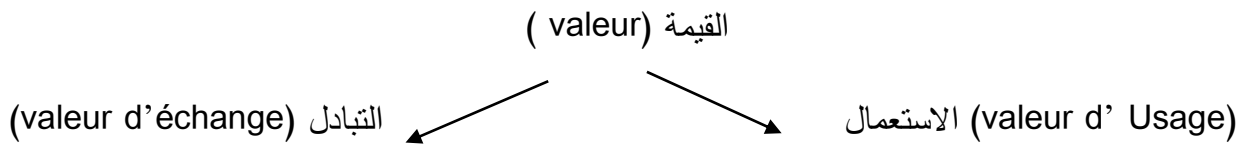

مما سبق نستخلص أن اللغة خزان للقيم، ولكي تحقق هذه القيمة مهمتها يجب أن تكون متساوية بين الأفراد ومستقلة عنهم، وانطلاقا من هذا المخطط نستنتج:

- ✓ **قيمة الاستعمال:**

أن اللغة إذا استعملت في ألفاظ وكلمات ذات محتوى مفاهيمي عادت تضمن للفرد ثقة كاملة لحمل القيم، وتظل الكلمات سارية المفعول متداولة ما دامت تمنح للأفراد القدرة على الاتصال، بمعنى أن الكلمات المشحونة بالقيم تعطي مستعمليها إمكانية الاتصال ، ونعني به توجيه رسالة من طرف لأخِر دون تلقي أي رد عليها، كما هو الحال في المحاضرات التي لا يشارك فيها أحد من المستمعين أو خطب الأئمة للمصلين .

لكن فقدان معنى الكلمة يعني فقدان العلاقة بين الكلمة ومدلولها، وإن فقدان هذه العلاقة يعني أن الكلمة فقدت محتواها الداخلي أو تلك الصورة الذهنية التي يمكن أن تستدعيها وأصبحت ظرفا مفرغا لا قيمة له، وبهذا التحليل يصبح المعنى جوهريا في كيان الكلمة بل تصبح قيمة الكلمة كما يشير فندريس :"....إنّ ما نسميه بالمفردات هو مجموعة من الكلمات في إحدى اللغات باعتبار قيمتها المعنوية..". [16]ذلك لأن فقدان الكلمة لمعناها كفيل لهدم القيم، وخلق انشطار في المجتمعات، لذا كان من الواجب إخراج اللغة بأصدق ما فيها، فالواحد منا إن رأى القيم مجسدة داخل المجتمع عمّ بداخله طيف من الأمان .

---

[16]- فندريس ، اللغة ، ص 225

✓ **قيمة التبادل:**

إنّ الذات لا توجد وحدها في العالم، بل الحياة تفرض عليها أن تكوّن علاقات بأشخاص آخرين تتبادل معهم التجارب، فالإنسان ليس منعزل ومنفصل عن الآخرين وعن العالم، وذلك لأن الإنسانية لا تتحقق إلا بتحقق قيمة التبادل، وفي هذا السياق ذهب فلوريان كولماس بقوله: "... تعتمد ثروة المعرفة الإنسانية على تبادل الكلمات ..". [17]

منه فإن اللغة وسيلة تبادل مثل العملة، وفي هذا الصدد نشير إلى قول لاندي:"..تتبدى الجماعة اللغوية كنوع من سوق كبرى تتحرك الكلمات والعبارات والرسائل كسلع .." [18]

من هذا القول نستخلص أن مفهوم الجماعة اللغوية الذي قدّمه جون ليونز:" الجماعة الكلامية هي كل الناس الذين يستخدمون لغة بعينها.." [19]

عليه فإن تحديد ماهية الجماعة الكلامية يستند أساسا إلى إمكانية تحديد وتعريف ماهية اللغة، ومنه فإن هذه الجماعة تتبادل الكلمات والعبارات فيما بينها، وبذلك يتحقق فعل التواصل هو مأخوذ من الصلة، ويراد به تبادل الحقائق والأفكار والمشاعر بين شخصين أو أكثر، وهذا ما يؤكده لويس في قوله :"... ليس الخطاب رسالة يجب فك رموزها فحسب، فهو كذلك منتوج نعرضه على تقييم الآخرين، وأن قيمته ستحدد من خلال علاقته بمنتوجات أخرى أكثر ندرة أو أكثر رواجا ..." [20]

---

[17]- فلوريان كولماس ، اللغة والاقتصاد ، ص 07

[18]- م.م. لويس، اللغة في المجتمع، تر: تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة مصر، د ط 2003م، ص83

[19]- هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عيّاد، عالم الكتب، القاهرة، ط3. 2002م ، ص 45

[20]- م.م. لويس، اللغة في المجتمع، ص 81

من هذا القول نتوصل أن المنتوج (الخطاب) لا قيمة له إلا في إطار علاقته بمنتوجات أخرى، ودون تحقق هذه العلاقة ، فالمنتوج لا تنقص قيمته بل قد يفقدها، وذلك لأنه من خلال مقارنتنا له مع منتوجات أخرى نستطيع أن نحقق قدره من الجودة والاستحسان، أو من الرداءة والاستياء، فلو نظرنا إلى المنتوج منعزلا عن باقية المنتوجات لما استطعنا أن نكسبه قيمة، ومن خلال علاقته واقترانه بها ستحدد قيمته، هل هو أكثر ندرة من هذه المنتوجات أم أقل منها، وهل هو أكثر رواجا منها أو أقل منها، ومنه فإنه من خلال تواجده مع هذه المنتوجات سنعرف مدى ندرة و رواج هذا المنتوج.

هل ما يستمده الفرد عن طريق الاحتكاك بالآخرين من مفردات كاف لتكوين لغة نامية متطورة واسعة ثرية؟. و منه فإن الاتصال يعد شرطَ وجودِ الجماعةِ الكلاميةِ.

السؤال الذي يجدر بنا الإجابة عنه في هذا المقام: كيف يتم تحقيق الفهم المتبادل بين أفراد المجتمع؟ أيكون ذلك بالاعتماد على درجة التطابق بين الوحدات اللغوية، أم بالاعتماد على خصائص المتحدثين؟. بناء على حقيقة أنه لا يوجد شخصان يتكلمان بالطريقة نفسها. [21]

نستطيع أن ننتهي إلى نتيجة قوامها أن درجة الفهم المتبادل لا تستند إلى الوحدات اللغوية بقدر ما تستند إلى سمات المتحدثين، و أحد أبرز تلك السمات هو الدافع، و هذا ما يؤكد ما ذهب إليه فلوريان في قوله:" لا يمكن توصيل فكرة متفردة موصوفة بأنها من الفرد إلا عندما يكون هذا الفرد مهيأ لهذه الغاية و ذلك باندماجه ضمن صفوف المجتمع."[22] من هذا القول نتوصل إلى أن الدافع عنصر مهم لأن فهم شخص آخر يتطلب مجهودا كبيرا من جانب المتلقي و يظهر ذلك جليا عندما يقرر الفرد (أ) ألا يسمع أو يفهم الفرد (ب)، فعندئذ لا تكون دوافعه نحو الفهم قوية بالقدر الكافي، و بناء عليه فكلما زادت الاختلافات بين الوحدات اللغوية، كلما

---

[21]- جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية، تعر: خليل احمد خليل، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط1. 1990م، ص 51

[22]- فلوريان كولماس، اللغة و الاقتصاد ، ص 11

تطلب الأمر مجهودا أكبر من جانب المتلقي، و هذا معناه أنه لو لم يستطيع الفرد (أ) أن يفهم الفرد (ب) فهذا يعني أن مهمته كانت أصعب من دوافعه.غير أن الدافع وحده غير كاف لتكوين و تجسيد عملية الفهم المتبادل، فضلا عن ذلك فإن خبراته السابقة تلعب دورا في ذلك. بمعنى أن الدوافع و الخبرات السابقة للفرد كلاهما ضروري و مهم لتتم عملية الفهم المتبادل بطريقة ناجحة و فعالة.

هل بتوفر هذين الشرطين – الدافع و الخبرات السابقة– تتحقق درجة التطابق في عملية الفهم المتبادل؟ ليس من الضروري أن يكون هذا الفهم كامل التبادل، لأنه قد لا يتوفر لكل من (أ) و (ب) نفس القدر من الدوافع حتى يفهم أحدهما الآخر، هذا من جهة فضلا أنه قد لا يتوفر لهما نفس القدر من الخبرة.

2 . المدرسة :

تعتبر المدرسة من أهم المؤسسات التي تساهم بشكل كبير في أغناء الثروة اللغوية و ذلك بناء على متابعة تنشئة الطفل اللغوية إلى مدى أبعد، لأن الطفل يصل عبر اللغة إلى طرق التفكير السائدة في المجتمع، فهي تصبغ الفرد بصبغة اجتماعية و ذلك لا يكون إلا باللغة والحرص على تنميتها و لهذا يتبين لنا بأنها مؤسسة اجتماعية تعمل على تحويل الثقافة إلى رموز، و هذا ما يؤكده ما ذهب إليه عدنان أمين في قوله:" الثقافة المدرسية هي ثقافة المجتمع بعد تحويلها إلى سجل رمزي هذا من جهة و تكسب الفرد القدرة الاتصالية من حيث هي المعرفة التي يحتاجها الفرد ليتمكن من استخدام الصيغ اللغوية بطريقة مناسبة للموقف الاتصالي من جهة أخرى". [23]

من هذا القول نتوصل إلى أن المدرسة تتمكن من توصيل ثقافة مجتمع ما للناشئة عن طريق اللغة، و بذلك تجعل الفرد قادرا على الاتصال من جهة، و على انتقاء الكلمات الملائمة لكل سياق لغوي من جهة أخرى،

[23]- عدنان الأمين، التنشئة الاجتماعية و تكوين الطباع، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط1، 2005م، ص 78

إذ يقال لكل مقام مقال و ذلك كون " القدرة الاتصالية تعد أحد العوامل الرئيسية في تحديد مقدار نجاح الفرد في المجتمع."[24]

إن دور المؤسسة مهما كانت قيمته فهو يعتمد بشكل كبير على النظام المتبع في التدريس، و على نوعية المناهج المقررة و ملاءمتها لمستوى الناشئة و على ما يمتلكه من استعدادات فطرية و دوافع نفسية ،مما يُؤَدَّى إلى أن تكون حريصة على انتقاء الأشخاص ذوي الكفاءات اللغوية لتولي هذه المهمة ، فضلا عن أن تشجيع ما يمكن أن يطلق عليه الاستعراض الكلامي من إحدى مهامها الرئيسية، و ذلك كونه يمكن الناشئ من تحصيل ملكته لأنها هذه الأخيرة لا تكون إلا بالمران و الممارسة.

3 ــ القراءة:

انطلاقا مما سبق يتبادر إلى أذهاننا تساؤل: هل هذه اللغة التي يكتسبها الفرد من المصادر السابقة تمكنه من إدراك و فهم كل ما يكتب أو يقال، و يكون بها قادرا على الاستفادة مما تضمنه تراث أمته من أعمال و إبداعات بمرونة كافية ؟

إن حياة الإنسان مهما طالت و مهما اختلفت تبقى محدودة بحدود زمانية و مكانية معينة، ولكنه لا يمكنه اختراق ذلك إلا عن طريق الاتصال باللغة المكتوبة التي تصل الماضي بالحاضر و تجتمع فيها أطراف و أبعاد حياة الأمة مهما اختلفت، و تحقيق هذا الاتصال يتم بالإطلاع على ما دوّن من أعمال و إبداعات أفراد الأمة في مختلف عصورهم و أجيالهم و مستوياتهم عن طريق القراءة، فضلا عن أن وعي الإنسان محدود بشكل غريب جدا، و مع أن كل الكائنات البشرية تمتلك ذاكرة قوية إلا أن مقدار وعيها الفعلي ضئيل جدا و باهت نسبيا، و من ثمة فإن أولى الفعاليات البشرية الحاجة إلى الإنعتاق و إلى تعميق الوعي، و بهما تنتقل من الأمية

[24]- هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص 342

الفكرية إلى المعرفة البشرية، و بذلك نستطيع أن ترتقي بهذه الأخيرة – المعرفة البشرية– من بيانات إلى معلومات، و من معلومات إلى معارف و من ثمة إلى مهارات .و هو ما يدل ضمنا على أن حالة الوعي العادية فقيرة و قاحلة و ناقصة، و بتعميق الوعي و الإنعتاق تتحول و تنتقل "من . إلى":

من فقيرة ⟵ إلى غنية

من قاحلة ⟵ إلى مثمرة

من ناقصة ⟵ إلى مكتملة

فضلا عن أن الوعي المصاب بسوء التغذية قد ينتهي به الأمر إلى أن يقوم باستهلاك نفسه.

نستخلص مما سبق أن:

تعميق الوعي + الإنعتاق

يؤدي إلى

الخصوبة الفكرية المرونة العقلية الثروة اللفظية

إن ارتباط المجتمع بالمادة المقروءة النافعة المثمرة ارتباطا وثيقا حميما يعني الارتقاء بالمستوى الثقافي لهؤلاء الأفراد، و الارتقاء الثقافي يعني بلا ريب الارتقاء بالفكر و اللغة على صعيد واحد، و الميراث الفكري و اللغوي الثري للمجتمع ينتقل بطبيعة الحال إلى أبنائه أو ناشئته ليكون القاعدة الأولى للرقي و الازدهار

الحضاري. وهذا ما يجسده قول الجاحظ (ت 255هـ):" بطول الاختلاف إلى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه و يحسن أدبه" [25]

هكذا فإن حديثنا عن وسائل التشجيع على القراءة يعني الحديث عن وسائل الارتقاء باللغة، و وسائل إغناء حصيلة هذه اللغة و تنمية محصول أبنائها منها، كما يعني الحديث عن أهم وسائل النهوض الفكري و التقدم الحضاري.

منه فإن التبسيط و التفضيل أو الاستطراد في هذا الحديث قد يخرج بنا إلى البحث فيما يتصل بعالم الثقافة و قضايا التثقيف.....، و يخل بالتوازن المنشود بين فصوله، لذلك سنقتصر هنا على ذكر أهم الأنشطة أو الإجراءات التي يمكن أن تثير الاهتمام بالقراءة و تشجع على الارتباط بالكتاب عامة.

1- إنشاء أو زيادة أعداد المكتبات العامة.

2- إقامة علاقة حميمة بين الناشئ و الكتاب داخل نطاق الأسرة، و تنشئة الطفل منذ عهد مبكر على حب القراءة و الاستئناس بالكتاب، و إقناعه بأهمية الثقافة و منافع القراءة.

3- العمل المتواصل على تطوير مجلات الأطفال، من حيث المحتوى و من حيث الشكل و السعي لإبعاد السمات التجارية أو النفعية عنها.

4- إنشاء المزيد من دور النشر الخاصة بكتب الأطفال، و شؤون ثقافتهم و الموضوعات الخاصة بهم.

5ـ تخصيص زوايا أو صفحات في الدوريات و المجلات الثقافية الخاصة بالأطفال، تُقَدَم فيها المواد أو الموضوعات التي تتناسب مع مستوياتهم العقلية و ميولهم و هواياتهم الثقافية فترتقي بمعارفهم.

نخلص في الأخير إلى :

[25]- الجاحظ، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر ج 1، 1405هـ/1985م، ص 86

- ✓ إن العمل على الربط الوثيق بين الإنسان و لغته هو الإنجاز الأكبر المنتظر من مؤسساتـــنا التعليمية و الثقافية و الإعلامية، و مراكزنا البحثية، و قيادتنا السياسية.
- ✓ إن أي إنسان لا يمكن أن يبدع لوطنه شيئا إلا إذا أحب هذا الوطن حبا عميقا، و لا يمكن التعبير عن هذا الحب إلا باللغة التي نبتت على أديم الوطن، فالذي يمتلك لغة لا يمكن أن تتهدم قواعد أبنيته، أو تَهِنَ قواه أو تتردى أحواله أو تخبو أنواره، أو يسهل إخضاعه.

المصادر والمراجع:

1. أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 212، أغسطس 1996م

2 . تراسك، أساسيات اللغة، تر: رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، العدد381 القاهرة مصر، ط1. 2002م.

3 ـ الجاحظ، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر ج 1، 1405هـ/1985م

4 ـ جان. يول. رزقبر، فلسفة القيم، تعر: عادل العوّا، عويدات للنشر، بيروت لبنان، ط1. 2001م

5 ـ ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، القاهرة مصر د ط، 1902م.33/1

6 ـ جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية، تعر: خليل احمد خليل، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط1. 1990م

7ـ جون جوزيف، اللغة و الهوية، تر: عبد النور الخراقي، عالم المعرفة، العدد342 المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت،2007م

8 ـ الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،ط1، م3 ،2007،3م

9 ـ سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، بغداد العراق، د ط ، 1985م

9 ـ عدنان الأمين، التنشئة الاجتماعية و تكوين الطباع، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط1، 2005م

10- فلوريان كولماس، اللغة و الاقتصاد، تر: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 263، نوفمبر،2000م

11 ـ محمد سبيلا، اللغة، دار توبقال، دار البيضاء، المغرب، ط4. 2005م

12- م.م. لويس، اللغة في المجتمع، تر: تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة مصر، د ط 2003م

13- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت لبنان ، ط3، م3، 2004م.

14 . هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عيّاد، عالم الكتب، القاهرة، ط3. 2002م .